الفصل الرابع

جمال حمدان

فهل اتعظنا
هل أعددنا العدة
أم ما زلنا نسبح فى بحورهم
منتظرين منهم حلا لقضايانا
بالرغم من كل ما أثبته الواقع
بأن مشاكلنا لن تحل إلا بأيدينا
مشاكلنا لن تحل بأيدى من أوجدها

جمال حمدان

«جمال محمود صالح حمدان»، ولد فى قرية ناى، بمحافظة القليوبية، فى الرابع من فبراير ١٩٢٨، وقتل بمنزله ٢٥ شارع أمين الرافعى، بالدقى، القاهرة، فى السابع عشر من أبريل ١٩٩٣، لتنتهى أسطورة الفكر الجغرافى الذى تمكن من فهم المعنى الحقيقى لعلم الجغرافيا، وسخره ليفسر من خلاله الكثير من النواحى الاقتصادية والسياسية، بل ويتنبأ مسبقا ببعض النواحى السياسية، ولتؤدى كتاباته إلى نهايته.[٥٢]

مولده[٥٣]:

تكونت شخصية «جمال حمدان» من مزيج عربى أصيل وافد من الجزيرة العربية، متمثل فى قبيلة «بنى حمدان» التى دخلت مصر مع الفتح الإسلامى، لتمتزج مع الشخصية المصرية الفريدة المميزة، متمثلة فى حى شبرا المزدحم، ليس فقط بأعداده، ولكن ازدحامه هو ازدحام عادات وتقاليد وثقافة، وردت إلى هذا الحى من شتى أنحاء مصر، لتتخلق شخصية «جمال حمدان» المصرى العربى الأصيل جذورا واكتسابا.

٥٢ ويكيبيديا، الموسوعة الحرة
53 http://montada.arahman.net/t4192.html

ولد «جمال حمدان» فى قرية «ناى» بمحافظة القليوبية، لينتقل مع انتقال أسرته إلى القاهرة، وبالتحديد حى شبرا خلال سنوات عمره الأولى.

أضف إلى هذا، شخصية والده مدرس اللغة العربية الأزهرى، الذى تولى بنفسه الإشراف على تعليم تعاليم القرآن الكريم لأبنائه السبعة، وبالطبع فقد كان من ضمنهم «جمال حمدان»، ليتعلم القرآن، ليس فقط قراءة ولكن استيعابا وفهما، مما خلق لنا مفكر قادرا على التفكير المنطقى والتحليل العلمى، مستمدا أفكاره من منطقية القرآن فى «اقرأ»، و «أفلا يتفكرون».

تعليمه[٥٤]:

بدأ «جمال حمدان» تعليمه قبل السن المدرسى من خلال التعليم فى الكتاب، ذلك النظام المصرى الذى يخلق فى الطفل قدره عالية على الإلمام بمبادئ القراءة وإجادتها، إضافة إلى تعلم القرآن، الذى يعد فى حد ذاته مدرسة علم، ودستور حياة، فمنه يستقى الإنسان المنطقية فى الفكر والتفكر، ومنه ينطلق لسانه بلغة سليمة تصل إلى العقول قبل أن تصل إلى الآذان، وقد أشرف على تحفيظه القرآن الكريم، والده مدرس اللغة العربية الأزهرى، فكان فى ذلك ضمانا لمستوى راق وصل إليه، ووصل إلينا من خلاله ومن خلال كتاباته ومقالاته التى لم تجد صعوبة فى تأثيرها على نفس القارئ وعقله.

54 http://montada.arahman.net/t4192.html

ونتيجة لانتقال الأسرة من قرية ناى، محافظة القليوبية، إلى حى شبرا، محافظة القاهرة، فقد التحق «جمال» بمدرسة شبرا الابتدائية، حيث كان والده يعمل بها مدرسا للغة العربية، ليحصل على شهادة الابتدائية عام ١٩٣٩.

مدارس شرفت بجمال حمدان وشرف بقرآنها

وبحصوله على شهادة الابتدائية تأهل للالتحاق بمدرسة التوفيقية، وكان من المعروف عنها أنها المدرسة التى لا يلتحق بها سوى المتفوق من الطلبة، ليحصل على شهادة الثقافة عام ١٩٤٣.

وكان النظام التعليمى فى مصر فى ذلك الوقت يفرق بين الحصول على شهادة التوجيهية وشهادة الثقافة، قبل دمجهما لتصبح شهادة ثانوية عامة، وحصل «جمال حمدان» على

شهادة التوجيهية فى عام ١٩٤٤، بترتيب سادس على مستوى القطر المصرى.

واختار «جمال حمدان» كلية الآداب، جامعة القاهرة، ليلتحق بقسم الجغرافيا، ويحصل على ليسانس الآداب، جغرافيا عام ١٩٤٨، بتقديرا يؤهله لاستكمال دراسته العليا، حيث عين معيدا بالكلية.

أما الدكتوراه، فقد حصل عليها من خلال بعثة إلى إنجلترا بدأها سنة ١٩٤٩، ليحصل على درجة الدكتوراه فى أربع سنوات عام ١٩٥٣ من جامعة ريدنج بإنجلترا، وكان موضوع رسالته يدل على مصريته فقد كان عنوانها «سكان وسط الدلتا قديما وحديثا»، والغريب فى الأمر أن من استفاد بهذه الرسالة هى إنجلترا، بريطانيا العظمى، ولم تستفد منها مصر، فمع علمنا بأن العلم يرتقى بالدول، فالرسالة لم تترجم حتى إلى العربية... حتى وفاته.

وبعد عودته إلى الوطن الأم ترقى إلى درجة أستاذ مساعد، ليستقيل عام ١٩٦٣، اعتراضا على تخطيه فى الترقية.

وتفرغ «جمال حمدان» منذ ذلك التاريخ وحتى وفاته، تفرغ للفكر الذى نقله إلينا من خلال الأبحاث والكتابات التى لم تكن جغرافية تقليدية، بل كانت نقله تاريخية فى علم الجغرافيا، لينقل علم الجغرافيا، من مجرد المعرفة، إلى درجة التفكير،

فيرتبط به كثيرا من العلوم الأخرى، قد نكون أبعد ما يكون عن التفكير فى ارتباطهم بهذا الرباط الوثيق.

وكانت رغبته للتفرغ هى ما أدى لرفضه الكثير من المناصب التى قد يلهث وراؤها الكثيرون، فقد كان يقابل هذه العروض بالاعتذار، مُؤْثِرًا تفرغه فى صومعة البحث العلمى، فقد اعتذر عن تمثيل مصر فى إحدى اللجان الهامة بالأمم المتحدة عام ١٩٨٣، رغم المحاولات المتكررة لإثنائه عن الاعتذار. كما اعتذر عن عضوية مجمع اللغة العربية، وكذلك عن رئاسة جامعة الكويت.

ثلاثون عاما من التفرغ، التفرغ التام فلم يكن «جمال حمدان» قد تزوج ليكون أسره قد تشغله ولو نسبيا عن البحث والتفكير، فهنا كان التفرغ حقيقيا، دفع ثمنه «جمال حمدان»، من حياته الخاصة، ثم دفع حياته ثمنا له.

بعثة الدكتوراه:

لم يكن «جمال حمدان»، من أولئك الذين تعددت سفرياتهم، بل كانت بعثته الأولى والأخيرة إلى المملكة المتحدة عام ١٩٤٩، بهدف الحصول على درجة الدكتوراه، حيث قضى أربع سنوات فى مجتمع غير عربى، لم يثنيه عن مصريته، ولم يثنيه عن عروبته، ليعود لمصر حاملا شهادة الدكتوراه فى عام ١٩٥٣، مدرسا بكلية الآداب، جامعة القاهرة.

هواياته:

اليوجا، كانت من أهم هواياته، والتى قد يعود لها الكثير من الصفاء الذهنى الذى قاد إلى تلك الابتكارات الارتباطية بين الجغرافيا والعلوم الأخرى.

وعرف عن «جمال حمدان» أيضا ولعه بالفنون، خاصة الرسم. حيث تحدث الروائى يوسف القعيد عن لوحاته التى عثر عليها بعد وفاته.

وكذا اهتمامه بالخط العربى والموسيقى فهو من المهتمين بسماع، وحفظ، بل وتدوين الأغانى.

كتاباته:

تميز «جمال حمدان» بقدرته على التفكير الاستراتيجى، حيث لم تكن الجغرافيا لدية إلا رؤية استراتيجية متكاملة للمقومات الكلية لكل تكوين جغرافى وبشرى وحضارى، ورؤية للتكوينات وعوامل قوتها وضعفها، وهو لم يتوقف عند تحليل الأحداث الآنية أو الظواهر الجزئية، وإنما سعى إلى وضعها فى سياق أعم وأشمل وذو بعد مستقبلى أيضا، ولذا فان «جمال حمدان»، عانى مثل أنداده من كبار المفكرين الاستراتيجيين فى العالم، من عدم قدرة المجتمع المحيط بهم على استيعاب ما ينتجونه، إذ إنه غالبا ما يُكَون رؤية سابقة لعصرها بسنوات،

وهنا يصبح عنصر الزمن هو الفيصل للحكم على مدى عبقرية هؤلاء الاستراتيجيون(٥٥).

تسع وعشرون كتابا، وتسعة وسبعون بحثا، كانت ميراثنا من «جمال حمدان»، الذى بدأه أثناء تواجده فى الجامعة حيث كانت كتبه الثلاث الأولى.

جغرافيا المدن، المظاهر الجغرافية لمجموعة مدينة الخرطوم (المدينة المثلثة)، ثم دراسات عن العالم العربى.

والمتفحص لأسماء الكتب الثلاثة ومواضيعها، نرى أنها لم تكن مجرد كتبا، ولكنها كانت تعبيرا عن نمو فكرى ناشئ، حيث تكلم «جمال حمدان» بصفة عامة عن جغرافية المدن، ثم تلاها بدرجة أكثر تخصصية، ليتكلم عن المظاهر الخاصة بالجغرافيا فى مدينة الخرطوم، لينتهى بدراسات عن العالم العربى، فلم تكن الكتابات عن الوصف بل تدرجت من الوصف إلى الدخول إلى الجوهر، ثم التأثير والتأثر بالجغرافيا، «تلك التى إذا عرفتها، عرفت كل شىء عن نمط الحياة فى هذا المكان أو ذاك... جغرافية الحياة التى إن بدأت من أعلى آفاق الفكر الجغرافى فى التاريخ والسياسة، فإنها لا تستنكف عن أن تنزل إلى أدق دقائق حياة الناس العادية فى الإقليم»(٥٦).

---

٥٥ ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

56 http://montada.arahman.net/t4192.html

«شخصية مصر» هو الكتاب الأكثر شهرة، والأكثر إثارة، وتبدأ إثارته فى تاريخ نشره، فقد نشرت النسخة الأولى منه فى نحو ٣٠٠ صفحة عام ١٩٦٧، لينمو خلال ثمانى عشر عاما، وتصل الطبعة النهائية له إلى أربعة مجلدات عام ١٩٨٤.

ويعد «شخصية مصر» من أهم الكتب التى كتبت فى العصر الحديث، فلم يكن «جمال حمدان» يتكلم فيه عن الجغرافيا التقليدية، التى اعتدنا أن نسمع فيها وصفا لأماكن مرتفعة وأخرى منخفضة، بل مزج فيه بين علوم مختلفة، وقد وضح «جمال حمدان» مقصده من خلال مقدمة الكتاب حيث يقول: «الاتجاه السائد بين المدارس المعاصرة، هى علم التباين الأرضى، أى التعرف على الاختلافات الرئيسية بين أجزاء الأرض على مختلف المستويات، فمن الطبيعى أن تكون قمة الجغرافيا هى التعرف على شخصيات الأقاليم»، وأعجبتنى مقولته: «إنها تتساءل عما يعطى منطقة تفردها وتميزها بين سائر المناطق، كما تريد أن تنفذ إلى روح المكان لتستشف عبقريته الذاتية التى تحدد شخصيته الكامنة»، فهو بكل بساطة ينقلنا بالجغرافيا من مرحلة المعرفة إلى مرحلة التفكير، من جغرافيا الحقائق المرصوصة، إلى جغرافيا الأفكار الرفيعة.

ويتضح كنه «جمال حمدان» الناتج عن مزيج عربى مصرى من خلال وصفه لمصر وكأنه يصف نفسه قائلا: مصر فرعونية هى بالجد، ولكنها عربية بالأب. غير أن كلا

الأب والجد من أصل مشترك ومن أعلى واحد. فعلاقات القرابة والنسب متبادلة وسابقة للإسلام بل سابقة للتاريخ. وما كان الإسلام والتعريب إلا إعادة توكيد وتكثيف وتقريب، ولهذا فإن التعريب وإن كان أهم وأخطر انقطاع فى الاستمرارية المصرية، إلا أنه لا يمثل ازدواجية بل ثنائية. فلا تعرض ولا استقطاب بين المصرية والعربية، إنما هى اللحمة والسُداة فى نسيج قومى واحد.

«مصر: عبقرية المكان» يقول «جمال حمدان»: «سيناء قدس أقداس مصر، ٦١ ألف كيلومتر مربع، أو نحو ٣ أمثال مساحة الدلتا».

العامل البشرى أهم من العوامل الأخرى، أهم من تأثيرات الزمن والطبيعة والتكنولوجيا، حقق العرب نصرهم بفضل العامل البشرى أساساً، كماً وكيفاً، سيطروا على التكنولوجيا الحديثة أولاً، كما سخروا عامل الوقت لصالحهم، العالم كله متفق الآن على أن الزمن لم يعد يعمل لصالح الكيان الصهيونى، إنه أصبح يحارب فى صف العرب. وواجبنا ألا نسمح بأى تغيير فى هذا الاتجاه، وأن نضاعف من تسخيره لصالح قضيتنا ومصيرنا، علينا أن نتم ما بدأناه.

وهنا فإنه واضح كل الوضوح مدى وطنية «جمال حمدان»، مدى تأصل الوطنية فيه، وفى كلماته، فالدفاع عن القضية الفلسطينية، بل القضية العربية لا يقتصر على المدفع،

ولكنه وبكل تأكيد يحتاج إلى الكلمة، ويحتاج إلى الفكر، ذلك الفكر الراقى مثل فكر أستاذنا «جمال حمدان».

هذا، إضافة إلى العديد من الكتابات التى تميزت جميعا بتوظيف الجغرافيا فى العديد من المجالات ومنها التنبؤ المستقبلى.

الرؤية المستقبلية:

فى كتاب «إستراتيجية الاستعمار والتحرر» أدرك بنظره الثاقب كيف أن تفكك الكتلة الشرقية واقع لا محالة، وكان ذلك عام ١٩٦٨م، وقد تحقق ما تنبأ به بعد إحدى وعشرين سنة، وبالتحديد فى عام ١٩٨٩م، حيث حدث الزلزال الذى هز أركان أوروبا الشرقية، وانتهى الأمر بانهيار الكتلة الشرقية، وتباعد دولها الأوروبية عن الاتحاد السوفيتى، ثم تفكك وانهيار الاتحاد السوفيتى نفسه عام ١٩٩١م.

كما أن هذه القدرة على استشراف المستقبل بدت واضحة فى توقع «جمال حمدان» لسعى الغرب لخلق صراع مزعوم بين الحضارات من أجل حشد أكبر عدد من الحلفاء ضد العالم الإسلامى، حيث أكد انه «بعد سقوط الشيوعية وزوال الاتحاد السوفيتى، أصبح العالم الإسلامى هو المرشح كعدو الغرب الجديد. وإلى هنا لا جديد. الجديد هو أن الغرب سوف يستدرج خلفاء الإلحاد والشيوعية إلى صفه ليكوّن جبهة مشتركة ضد العالم الإسلامى والإسلام، باعتبارهم العدو المشترك للإثنين،

بل لن يجد الغرب مشقة فى هذا، ولن يحتاج الأمر إلى استدراج، سيأتى الشرق الشيوعى القديم ليلقى بنفسه فى معسكر الغرب الموحد ضد الإسلام والعالم الإسلامى»، وهو ما تحقق بالفعل، حيث وضع «صموئيل هنت نجون» فى كتابه «صدام الحضارات» الخطوط الفكرية العريضة لهذا الحلف، فيما يخوض المحافظون الجدد فى البيت الأبيض غمار معاركه الفعلية، فى إطار ما بات يعرف بالحرب على الإرهاب، والتى لا تخرج عن كونها ستارا لحرب شاملة على الإسلام.

من حقنا أن نخطأ، ولكن هل من حقنا أن نكرر الخطأ؟ من حق أيا منا أن يُكَون رأى أو فكر، ويتبناه ويسعى به من أجل رفعة البلد، ورفعة الوطن، حتى وإن كان مخطئ، ولكن ليس من حق أيا منا أن يكرر خطأ، فالتاريخ يمدنا بالحقائق حتى نتعلم منها، فالخطأ إن كان مقبولا جهلا، فهو مرفوض، بل نحاسب عليه، إن كنا نعلم، وهنا كانت مقولات «جمال حمدان»، فهو أمدنا بالمعلومة، أمدنا بما يدور بفكر الآخر، سواء الغرب أو الشرق، أمدنا بما يخطط له الآخر، تجاه العرب، تجاه الإسلام، فهل اتعظنا، هل أعددنا العدة، أم ما زلنا نسبح فى بحورهم، منتظرين منهم حلا لقضايانا، منتظرين منهم حلا لقضية فلسطين، بالرغم من كل ما أرسله «جمال حمدان» لنا من رسائل، بالرغم من كل ما أثبته الواقع، بأن مشاكلنا لن تحل إلا بأيدينا، مشاكلنا لن تحل بأيدى من أوجدها.

ومن الرؤى المستقبلية التى طرحها «جمال حمدان»، وتبدو فى طريقها إلى التحقيق، تلك النبوءة الخاصة بانهيار الولايات المتحدة، حيث كتب «حمدان» فى بداية التسعينات يقول: «أصبح من الواضح تمامًا أن العالم كله وأمريكا يتبادلان الحقد والكراهية علنًا، والعالم الذى لا يخفى كرهه لها ينتظر بفارغ الصبر لحظة الشماتة العظمى فيها حين تسقط وتتدحرج، وعندئذ ستتصرف أمريكا ضد العالم كالحيوان الكاسر الجريح»، ومضى مضيفا: لقد صار بين أمريكا والعالم «تار بايت» أمريكا الآن فى حالة «سعار قوة» سعار سياسى مجنون، شبه جنون القوة، وجنون العظمة، وقد تسجل مزيدًا من الانتصارات العسكرية، فى مناطق مختلفة من العالم عبر السنوات القادمة، ولكن هذا السعار سيكون سببا فى مقتلها فى النهاية».

ويلفت «حمدان» إلى أن «الولايات المتحدة تصارع الآن للبقاء على القمة، ولكن الانحدار لأقدامها سارٍ وصارمٍ والانكشاف العام تم، الانزلاق النهائى قريب جدًا فى انتظار أى ضربة من المنافسين الجدد؛ أوروبا، ألمانيا، اليابان». وتوقع «أن ما كان يقال عن ألمانيا واليابان استراتيجيًا سيقال عن أمريكا قريبًا، ولكن بالمعكوس، فألمانيا واليابان عملاق اقتصادى وقزم سياسى، بينما تتحول أمريكا تدريجيًا إلى عملاق سياسى وقزم اقتصادى» وتلك الرؤية تبدو فى طريقها إلى التحقق - ولو ببطء - وتدل على ذلك الآلاف من حالات الإفلاس والركود الذى يعانى من الاقتصاد الأمريكى، مقابل

نمو اقتصادى متسارع للاتحاد الأوروبى واليابان، ولم تكن مفاجأة أن العملة الأوروبية الموحدة «اليورو» حققت معدلات قياسية مقابل الدولار الأمريكى فى فترة وجيزة.

من الاستشراقات المهمة التى تضمنتها أوراقه، تلك المتعلقة بعودة الإسلام ليقود من جديد، حيث يقول «يبدو لى أن عودة الإسلام أصبحت حقيقة واقعة فى أكثر من مكان، عودة الإسلام حقيقة ودالة جدًا تحت ناظرينا»، ويلفت إلى أنه «فى الوقت نفسه يبدو أن ديناميات الإسلام تختلف تمامًا، فقديمًا كان الإسلام يتقلص فى تراجع نحو الجنوب فى جبهته الأوربية وجنوب جبهته الإفريقية، الآن هناك عودة الإسلام فى أوروبا خاصة فى طرفيها أسبانيا وآسيا الوسطى، إضافة إلى هجرة المسلمين إلى قلب أوروبا».

نظرته للكيان الصهيونى:

من أهم ما كتب «جمال حمدان» فيما يخص الكيان الصهيونى كتاب: «اليهود أنثروبولوجيًا» والذى أثبت فيه أن اليهود المعاصرين الذين يدعون أنهم ينتمون إلى فلسطين ليسوا هم أحفاد اليهود الذين خرجوا من فلسطين قبل الميلاد، وإنما ينتمى هؤلاء إلى إمبراطورية «الخزر التترية» التى قامت بين «بحر قزوين» و«البحر الأسود»، واعتنقت اليهودية فى القرن الثامن الميلادى، وهذا ما أكده بعد ذلك «أرثر بونيسلر» مؤلف كتاب «القبيلة الثالثة عشرة» الذى صدر عام ١٩٧٦م. وتعد

خطورة هذا الكتاب فى فقدان الكيان الصهيونى للعامل الأهم فى محاولتها وصم فلسطين بأنها أرضهم أو أرض أجدادهم.

ويهمنى هنا أن أذكر أن اليهود كانوا يعيشون فى مصر، فهم مصريو الجنسية يهوديو الديانة، وهذا لا يعطى لهم الحق فى فلسطين بأى حال من الأحوال، حتى وإن كانوا هم أحفاد من خرج من مصر مع موسى عليه السلام، ليكفروا بالله قبل وصولهم إلى أى مكان، ليكفروا بالله وهم ما زالوا فى سيناء، حيث كلم الله تعالى نبيه موسى تكليما فى أرض مصر المقدسة، كلمه فى الوادى المقدس طوى، ليعود فيجدهم يعبدون عجلا، والوعد بأرض فلسطين هنا حتى وإن كان قائما، إلا أنهم نقضوه فقد ذكر الله فى كتابه العزيز: «وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ»[٥٧]. وبالتالى يمكننا القول بأن أفعالهم أدت إلى غضب الله عليهم، وغضب الله عليهم أدى إلى عودتهم إلى المكان الذى أتوا منه، وإذا أخذنا بالقياس فكل يهودى قادم من مكان ما بحجة الوعد بالأرض المقدسة، فعليه بالعودة مرة أخرى إلى المكان الذى أتى منه، ومن المعروف

٥٧ سورة البقرة، آية ٦١.

أن كل يهود إسرائيل أتو إما من أوروبا الغربية أو من أوروبا الشرقية، والكثير منهم أتى من الاتحاد السوفيتى، فكل منهم له وطن، أما فلسطين فوطن أهلها.

وقد أدرك «حمدان» مبكرا من خلال تحليل متعمق للظروف التى أحاطت بقيام المشروع الصهيونى أن «الأمن» يمثل المشكلة المحورية لهذا الكيان اللقيط، واعتبر أن وجود الكيان الصهيونى رهن بالقوة العسكرية وبكونها ترسانة وقاعدة وثكنة مسلحة، مشيرا إلى أنها قامت ولن تبقى - وهذا تدركه جيداً - إلا بالدم والحديد والنار. ولذا فهى دولة عسكرية فى صميم تنظيمها وحياتها، ولذا أصبح جيشها هو سكانها وسكانها هم جيشها.

ولم يكتف بهذا ولكن تؤكد مصادر موثوق منها أنه قد شرع فى كتابة كتاب آخر عن اليهود واليهودية كان أقوى من ذى قبل، ولكن اختفت مسودات هذا الكتاب بعد وفاته المحيرة مباشرة، واختفاء مسودات الكتاب لم يكن بهدف السرقة التجارية، حتى تقوم جهة أخرى بنشره، بل بهدف قتل الفكر قبل قتل الجسد حتى لا يتمكن أحد من قراءة تحليلاته عن الكيان الصهيونى، فمن المستفيد من السرقة ومن المستفيد من القتل.

وفى رائعته «٦ أكتوبر - فى الاستراتيجية العالمية» قال: «ليس الذى بيننا وبينهم أربع حروب، بيننا حرب طويلة واحدة

بها أربع معارك حتى الآن! حرب تدور على المستوى السياسى والعسكرى والحضارى».

التقديرات:

كانت أولى التقديرات، وكنتيجة لكتبة الثلاثة الأولى هى جائزة الدولة التشجيعية فى العلوم الاجتماعية التى حصل عليها فى الحقبة التى حكم فيها «جمال عبد الناصر» وبالتحديد سنة ١٩٥٩[٥٨].

ثم حصل على جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية فى أثناء حكم حسنى مبارك سنة ١٩٨٦. ومن الملاحظ عدم حصوله على أى جوائز أثناء حكم السادات، ولا نسعى وراء تبرير، ولكن لنضع الأمور فى نصابها، فلم يكن هناك أى عداء يذكر بين «السادات» و«جمال حمدان»، ولكن الأسلوب السياسى المحنك الذى اتبعه السادات من معاهدات سلام مع الكيان الصهيونى، قد يكون استدعى ذلك.

وعن كتابه «شخصية مصر» حصل على وسام العلوم من الطبقة الأولى سنة ١٩٨٨.

ومنحته دولة الكويت جائزة التقدم العلمى سنة ١٩٩٢. وقد يعنى هذا توثيقا لاهتمام الكويت بالعلم والعلماء، فلم يكن قد مر عام على مأساة الصراع بين الشقيقين العراق والكويت،

58 http://montada.arahman.net/t4192.html

إلا أن المؤسسة التى تم إنشاؤها سنة ١٩٧٦، قد واصلت عملها، وقدمت جائزتها لعالمنا «جمال حمدان».

أهم أقواله:

- الواقع أن هناك هرماً من ثلاث طبقات: القاعدة العريضة جداً: المتعلمون. القاعدة الوسطى القليلة: المثقفون. القمة العليا الضيقة جداً: المفكرون.
- الفكر مركب من ثلاث عناصر: العلم – الفلسفة – الفن. وكل عنصرين لا يصنعان مفكراً ولا فكراً. المعادلة هى: الفكر = العلم × الفلسفة × الفن
- إن وجود الكيان الصهيونى رهن بالقوة العسكرية فهى إن قامت ولن تبقى فلن تقوم إلا بالدم والحديد والنار. ولذا فهى دولة عسكرية فى صميم تنظيمها وحياتها، جيشها هو سكانها وسكانها هم جيشها.
- إن ما تحتاجه مصر هو ثورة نفسية! بمعنى ثورة على نفسها أولاً، وعلى نفسيتها ثانياً أى تغير جذرى.... العقلية والمثل وأيديولوجيا الحياة.
- وفى جميع الأحوال فإن مصر هى واسطة كتاب الجغرافيا تحولت إلى فاتحة كتاب التاريخ. وفى جميع الأحوال أيضاً فإن السبق الحضارى ملمح أساسى بلا نقاش فى شخصية مصر.

- والواقع إن مصير العرب مصرى حضارياً، كما أن مصير مصر عربياً سياسياً. فالعرب بغير مصر كالجسم بلا رئة، ومصر لا مستقبل عالمى لها خارج العرب.
- ومصر بالذات محكوم عليها بالعروبة، ولكن أيضاً بتحرير فلسطين، وإلا فبالإعدام. فمصر لا تستطيع أن تنسحب من عروبتها حتى لو أرادت – كيف؟ – وهى إذا نكصت عن استرداد فلسطين العربية كاملة من البحر إلى النهر وهادت وهادنت، خانت وحكمت عليها بالضياع، فقد حكمت أيضاً على نفسها بالإعدام، بالانتحار، وسوف تخسر نفسها ورصيدها الماضى، والمستقبل، والتاريخ، والجغرافيا.

وفاته:

ما زالت وفاة «جمال حمدان»، أو مقتله لغزا كبيرا محيرا.

ففى الساعة الرابعة من بعد ظهر سبت السابع عشر من أبريل ١٩٩٣م، توفى الكاتب الكبير.

وقد تضاربت الأقوال عن مماته فمنهم من قال أنه انتحار وكانت وجهة الاعتراض على هذه المعلومة أنه كان يلعب اليوجا، ويعلم كيف يتحكم فى نفسه بشكل جيد، وأن رجل ذو علم هكذا لا يقدم على مثل هذه الخطوة، وأنه ليس انتحاريا، وكان هذا رد المقربين منه جدا.

ومنهم من قال أنه تسرب غاز حينما كان يعد لنفسه كوب من الشاى فقضت عليه رائحة الغاز.

ومنهم من يرى أن سرا كبير وراء وفاته وأن تسرب الغاز هذا لم يكن منطقيا أو حادثا عرضيا وأنه كان مفتعل.

عثر على جثته والنصف الأسفل منها محروقاً، واعتقد الجميع أن دكتور «حمدان» مات متأثراً بالحروق، ولكن دكتور يوسف الجندى مفتش الصحة بالجيزة أثبت فى تقريره أن الفقيد لم يمت مختنقاً بالغاز، كما أن الحروق ليست سبباً فى وفاته، لأنها لم تصل لدرجة أحداث الوفاة.

اكتشف المقربون من دكتور «حمدان» اختفاء مسودات بعض الكتب التى كان بصدد الانتهاء من تأليفها، وعلى رأسها كتابة عن اليهودية والصهيونية، مع العلم أن النار التى اندلعت فى الشقة لم تصل لكتب وأوراق دكتور «حمدان»، مما يعنى اختفاء هذه المسودات بفعل فاعل، وحتى هذه اللحظة لم يعلم أحد سبب الوفاة، ولا أين اختفت مسودات الكتب التى كانت تتحدث عن اليهود.

شقيق الدكتور «جمال حمدان» اللواء «عبد العظيم حمدان» قال أدلة أخرى «ليوسف القعيد» تؤكد كما قال حتمية قتله، وهى أن الطباخ الذى كان يطبخ له فوجئنا بأنه طلب السفر إلى قريته بحجة كسر فى قدمه، ولم نعد نعرف له مكانا، وأن جارة كانت تسكن فى البيت قالت لنا إن هناك رجلا

وامرأة «خواجات» سكنا فى الشقة الموجودة فوق شقته شهرين ونصف قبل اغتياله ثم اختفيا بعد قتله.

وكأن «الانتحار» هو الملاذ أو المهرب من الاعتراف بالقتل والبحث عن أسبابه، هو الملاذ أو المهرب لتغطية قصورنا فى حماية مفكرينا، تلك الحماية التى لا يمكننا أن نعدها حقا واجبا للمفكر فقط، بل هى فى حد ذاتها حقا أصيلا للمجتمع، والدولة، والأمة العربية أجمع، فبدون مفكرينا، نفقد أنفسنا.

قالوا عنه:

- كأنه كان طائر العنقاء الخرافى، ارتفع عالياً ونشر أجنحته رائعة الألوان، ثم احترق مخلفاً رماداً هو أحجار وأفكار عظيمة تبنى الهرم، «حسنين هيكل»[٥٩].
- عاش غريباً، ومات وحيداً، يرحمه الله، مات وحده، كما تموت الشهب، محترقاً فى السماء لا أحد رآه، لا أحد يعرف كيف صرخ ولا كيف بكى، وإنما سقط رماداً أضيف إلى تراب مصر يا أرض مصر، قد مات فيلسوفك، وشاعرك، والشاهد على عبقريتك. «أنيس منصور»
- وفى مؤتمر أدباء مصر بدء الدكتور: «السيد رشاد» كلمته بحكمة المصريين القدماء قبل سبعة آلاف عام: كن كاتبا فالكاتب سيد نفسه، كان بناء عظيما، وها هو

٥٩ علاء الديب، ٦ أكتوبر ٢٠١٣

«خبيئة مصر».. والتجسيد الحى والمبهر لتفرد جيناتها الإبداعية المتراكمة عبر آلاف السنين.. وبشارتها العبقرية للأمة والإنسانية «دكتور جمال حمدان»، يواصل فى الألفية الثانية بعد الميلاد مسيرة أجداده من البنائين العظام، باعتبار مشروعه الفكرى واحداً من أهم – إن لم يكن الأهم – ركائز الفكر الاستراتيجى لأمته المصرية والعربية، بل الإنسانية كلها فى هذا العصر. حيث قرر مبكرا، الانحياز إلى الاختيار الصعب، فاختار الجلوس فوق جسر معلق فى المسافة بين الجغرافيا والتاريخ، والسياسة والاقتصاد، والفلسفة والشعر والموسيقى والرسم، مجسدا بحق تلك الخصوصية المصرية المتفردة.. الوحدة فى التنوع «فتوجته» جغرافيا الحياة ملكا لها بلا نظير ودون جدال، وأصبحت مصر لديه المعادل الموضوعى لوجوده وأوقف مشروعه الإنسانى ونبوغه العلمى عليها.. فصار موقدا لضوئها حتى فى أحلك لحظات تراجعها وعزلتها، واستغنى بها «وحدها» عما عداها حتى نفسه، فصارت له «وحده» وطنا فى عزلته.. يشعله ويشتعل فيه، لكى يضىء لنا طريق التأمل. «دكتور: السيد رشاد، فى مؤتمر أدباء مصر».